شفاعة القديسين
وجدلية العمل و الإيمان الكنسي
«دراسة تحليلية نقدية»

"The intercession of the saints, the dialectic of work and church faith"

"Critical Analytical Study"

إعداد

الدكتور نزار بن طالب بن محمد عيسى الأحمدي

الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، الجامعة الإسلامية

Prepared by:

Dr.Nizar bin Talib bin Muhammad Issa Al-Ahmadi

Associate Professor, College of Da'wah and Fundamentals of Religion,

Department of Doctrine, Islamic University

nizarta@hotmail.com

مستخلص البحث:

تُعد المشكلات الناجمة عن قبول المصدر ، وسلطته أحد الأُطُر المؤثرة في صحة التأويل والتفسير للنصوص ، ويتطلب ذلك وضع فرضيات يترتبُ عليها تحقيق هدف عقائدي، ولا ريب أن التكيف مع هذه الفرضيات يؤدي بنا إلى الوقوع في دائرة الإفراط ، والتفريط ؛ لأنه ليس من العسير أن تصبح الفرضيات مسلمات إيمانية لا يتنازل عنها أهلها، وربما يتم ذلك بُغية تحقيق أهداف اجتماعية ، وسياسية، واقتصادية ؛ فلقد مثلت العلاقة بين العمل والإيمان في المفهوم المسيحي مثار جدل واسع ؛ الأمر الذي أدى للتنازع بين الطوائف المسيحية من خلال نقاشات حادة وصلت ببعضهم لاتهام الطوائف الأخرى بالوثنية ، والشرك ، وكانت قضية شفاعة القديسين بياناً عملياً لهذه الجدلية بين العمل والإيمان ، وقد كان للتقليد الكنسي - بنوعيه الشفهي والمكتوب - من تعاليم رجال الكنيسة دورٌ كبيرٌ في هذا الجدل ؛ حيث رفضه البروتستانت ؛ لكونهم لا يُذعِنون إلا لنصوص الكتاب المقدس ، بينما أصر عليه الكاثوليك والأرثوذكس ، وقد نجم عن ذلك استغلال شفاعة القديسين من أجل جذب المزيد من الأتباع والرعايا للكنيستين بخاصة الكاثوليكية التي اتخذته أداة استراتيجية لمواجهة البروتستانت ، وغيرهم من العلمانيين اللادينيين ؛ لذا تنطلق هذه الدراسة لتستبين ذلك بالتحليل والنقد .

كلمات مفتاحية : الشفاعة - المسيحية - القديسين - الكنيسة - العمل - الإيمان.

Abstract

The problems resulting from accepting the source and its authority are one of the frameworks that influence the validity of the interpretation and explanation of texts. This requires setting hypotheses that entail achieving a doctrinal goal. There is no doubt that adapting to these hypotheses leads us to fall into the cycle of excess and negligence. Because it is not difficult for assumptions to become axioms of faith that their people will not give up on, and this may be done in order to achieve social, political, and economic goals. The relationship between work and faith in the Christian concept has been the subject of widespread controversy. Which led to conflict between Christian sects through heated debates that led to some accusing other sects of paganism and polytheism, and the issue of the intercession of the saints was a practical statement of this dialectic between work and faith. The church tradition – both oral and written – of the teachings of churchmen played a major role in this controversy. Where the Protestants rejected it; Because they only obey the texts of the Bible, while the Catholics and Orthodox insisted on it, and this resulted in exploiting the intercession of the saints in order to attract more followers and parishioners to the two churches, especially the Catholic Church, which took it as a strategic tool to confront the Protestants and other non-religious secularists. Therefore, this study sets out to establish this through analysis and criticism.

Keywords: Intercession – Christianity – Saints – Church – Work – Faith .

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [الأحزاب:٧٠].

وبعد؛ تُعد شفاعة القديسين عقيدة تؤمن بها الأرثوذكسية الشرقية ، والروم الكاثوليك، وبعض الكنائس الأنجليكانية، والتي تنص على أنه قد يُطلب من القديسين بما في ذلك السيدة العذراء مريم أن يتشفعوا (أو يصلوا) للآخرين. ونستطيع أن نجد عقيدة طلب الشفاعة من القديسين في الكتابات المسيحية من القرن الثالث الميلادي، بل ينص قانون إيمان الرسل في القرن الرابع على الإيمان بشراكة القديسين، وقد جاء ذلك في أعقاب تيار التقليد اليهودي المسيحي؛ إذ تسمح اليهودية بطلب شفاعة القديسين.

إحدى السمات المهمة للقداسة هي أنها تستلزم عملية طويلة غالبًا من مرحلتين: أولاً، التعيين كشخص مبارك (التطويب)، وثانيًا، الترقية إلى وضع القديس (التطويب). تغطي بياناتنا الرئيسية عن الأشخاص الذين يُطلق عليهم اسم الطوباويين والقديسين الفترة منذ عام ١٥٨٨م، عندما بدأت سجلات الفاتيكان الرسمية. تتوفر معلومات أقل اكتمالًا منذ عام ١٢٣٤م، وبعد ذلك كان التعيين كقديس يتطلب موافقة بابوية رسميًا ، ولا يمكن أن يعكس مجرد الشعبية المحلية.

ويبدو أن المنافسة المتزايدة بين الكاثوليك والبروتستانت قد دفعت البابا‌وات إلى تسمية المزيد من الأشخاص المباركين، وكان لهذا التأثير أهمية خاصة منذ أوائل القرن العشرين، وخاصة في أمريكا اللاتينية.

ويتأسس على ذلك، أن الكنيسة الكاثوليكية - أيضًا - قد استخدمت صنع القديسين للتنافس ضد طوائف أخرى غير البروتستانتية ، وبشكل خاص إلى الكنيسة الأرثوذكسية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية في الانشقاق الكبير عام ١٠٥٤، قبل فترة طويلة من الإصلاح الديني عام ١٥١٧. ويبدو أن

الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية قد توصلتا إلى تفاهم منذ فترة طويلة بعدم التدخل في علاقة كل كنيسة بأعضائها. بالإضافة إلى ذلك، من الصعب عزل التأثيرات عن المنافسة الكاثوليكية الأرثوذكسية ؛ لأنه على النقيض من الكاثوليكية البروتستانتية، لا يوجد سوى القليل من التداخل داخل البلد بين السكان الكاثوليك والأرثوذكس - فقط في أوروبا الشرقية إلى حد كبير.

بالإضافة إلى التنافس مع الديانات الأخرى، أصبحت الكنيسة الكاثوليكية مهتمة في القرن العشرين بظهور اللادينية، وهو جانب من جوانب العلمنة. وبطبيعة الحال، فإن زيادة الحماس بين الكاثوليك - ربما من خلال جعل القديسين - قد يمنع بعض المغادرين إلى اللادينية (الردة). أي أنه يمكننا أن نفكر في الكنيسة الكاثوليكية باعتبارها تتنافس على جانبين؛ أحدهما مع البروتستانتية (أو الديانات الأخرى) والآخر مع العلمنة.

فقد وجدت الكنيسة الكاثوليكية طريقة للتنافس بفعالية ضد المنافسة المتزايدة من الإنجيليين البروتستانت، وخاصة في أمريكا اللاتينية. بدأت البعثات البروتستانتية الأمريكية المنظمة في الوصول إلى أمريكا اللاتينية في منتصف القرن التاسع عشر، مما شكل منافسة جدية للكنيسة الكاثوليكية بحلول نهاية ذلك القرن مما يعكس قلق الكنيسة الكاثوليكية المتزايد بشأن المنافسة من البروتستانتية. وعلى وجه التحديد، يبدو أن الكنيسة نظرت إلى صنع القديسين كآلية استراتيجية لتنشيط السكان المحليين من المؤمنين، وبالتالي منع التحول إلى البروتستانتية. وبديهي أن نجد هذه الاستجابة التنافسية أكثر حدة في مثل أجزاء من أمريكا اللاتينية التي كانت تاريخياً ذات أغلبية كاثوليكية رومانية ولكن حيث ارتفع عدد البروتستانت الإنجيليين إلى ما يقرب من المساواة مع الكاثوليك.

أهمية الموضوع :

إن مسألة شفاعة القديسين قد فرضت نفسها على الإيمان الكنسي ، وقد كان لها الأثر في تباين موقف الطوائف المسيحية من علاقة العمل بالإيمان ، ويعالج البحث هذا الموضوع مبينًا الأسباب التي دفعتهم لذلك.

أهداف البحث :

في هذا البحث سنحاول الإجابة علي الأسئلة التالية : ما هي الشفاعة وفق المفهوم الكنسي؟ وما المقصود بشفاعة القديسين؟ ومن هي الطوائف المسيحية التي آمنت بها ؟, وما هي أهم الصراعات الفكرية التي رافقت هذا الاتجاه ؟ وما مفهوم مارتن لوثر للإيمان ؟ وكيف تناولها البروتستانت ؟ وماموقفم

من شفاعة الموتى والأحياء ؟ ،وما صلة ذلك بتأسيس الإيمان المسيحي؟

الدراسات السابقة :

استفاد البحث من دراسة : «الشفاعة استحقاق لنا في المسيح يسوع» ، القس يوساب هاني ، مراجعة وتقديم : القمص موسى رفائيل، الناشر : كنيسة القديس الشهيد موريس والكارزة فيرينا ، الطبعة الأولى ٢٠١٦، وهي دراسة تفتقد للأسس العلمية يغلب عليها الخطابية ، والنزعة العاطفية .

منهج الدراسة :

استند البحث على المنهج الوصفي التحليلي كونه يتناسب مع طبيعة البحث , فاعتمدتُ نصوص الكتاب المقدس الذي تستند إليه الطوائف المسيحية ، حيث ركزت على تحليل هذه النصوص ، وتوضيح مضامينها، ودلالاتها مبيناً مواضع الجدل .

وتنطلق الدراسة من مبحثين :

- المبحث الأول « الشفاعة في ضوء الإيمان الكنسي»، وبه مطلبان :
- المطلب الأول :التعريف بالشفاعة في اللغة ، والمصطلح الكنسي
- المطلب الثاني : أنواع الشفاعة ، والفرق بينها في المفهوم الكنسي
- المبحث الثاني : موقف الطوائف المسيحية من شفاعة القديسين ، وبه ثلاثة مطالب:
- المطلب الاول : المؤيدون لشفاعة القديسين ، وأدلتهم
- المطلب الثاني : الرافضون لشفاعة القديسين ، وأدلتهم
- المطلب الثالث : جدلية العمل الإيمان ، وعلاقتها بشفاعة القديسين
- الخاتمة

المبحث الأول

الشفاعة في ضوء الإيمان الكنسي

المطلب الأول :التعريف بالشفاعة في اللغة ، والمصطلح الكنسي

الشفاعة لُغَةً:

تدور مادة (شفع) حول معاني الزوج مقابل الوتر، فتقول كان وتراً فشفعتُه شفعاً، وشفع الوتر من العدد شفعاً صيّره زوجاً والشّفع ما شُفِع به سمي بالمصدر، والجمع شِفاعٌ[١] ، ومعاني الضم ، وشفع َالْبَصَر الأشباح رَآهَا شَيْئَيْنِ ، وَيَقُول الْهَرم شفعت لي الْأَشْخَاص بدا الشَّيْء لي شَيْئَيْنِ؛ لضعف بَصَره، وَالْحَامِل كَانَ يتبعهَا ولد ، وَلفُلَان كَانَ شَفِيعًا لَهُ وَإِلَى فلَان توسل إِلَيْهِ بوسيلة .[٢]

الشفاعة في الاصطلاح الكنسي :

رأى التقليد الكنسي في الشفاعة تعبير عن محبة وتضامن ثابتين ، ويُبَرِّرون ذلك بكونهم متحدين بالصلاة المشتركة ، والشفاعة المتبادلة مع كل المؤمنين الحقيقيين الذين ما زالوا يعيشون على الأرض، أو الذين - نعرفهم أو لا نعرفهم - سبقونا إلى السماء. هذا هو "اتحاد المؤمنين". إنه اتحاد المجتمعين السماوي والأرضي حول المسيح في عائلة واحدة، بما أن الله هوالأب. إن الصلاة، التوسل إلى الآب، التشفع لبعضنا البعض، يعني أن نحب بعضنا البعض وأن نكون واحداً في المسيح: "الواحد للكل، والكل للواحد". لقد صلّى يسوع بحرارة من أجل هذا الاتحاد (إنجيل يوحنا ١٧، ٢١). المحبة، التضامن، التفهم، الرحمة، يؤدون حتماً إلى التوسل في التشفع كما جاء في رسالة يعقوب "اِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلَاتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ» (رسالة يعقوب ٥، ١٦).

وحديث الشفاعة لدى المؤمنين بها يرى أنه لا ينبغي للمسيحيين طلب المساعدة من القديسين ما لم يتمكنوا من مساعدتنا، فجوهر الشفاعة إنما يكمن في عقيدة شركة القديسين. ولقد بين لنا منظروا الكنيسة أن المؤمنين في السماء وعلى الأرض وفي المطهر هم جسد سري واحد، والمسيح رأسهم. كل ما يهم جزء واحد

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت ، ١٨٣/٨

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،الطبعة الثانية ١٩٧٢، ص٤٨٧

يهم الباقي، وكل واحد يساعد الباقي، فالمسيحيون على الأرض من خلال تكريم القديسين واستدعائهم والصلاة من أجل النفوس في المطهر، والقديسون في السماء من خلال طلب شفاعتهم. ([1])

الكاثوليك يعتقدون بالتقليد الكنسي:

وتتضح أفكارهم حين ذهبوا إلى أن العهد الجديد يتحدث عن اتباع ‹تقاليد› (= تعاليم) الرسل، سواء كانت شفهية أو مكتوبة وذلك ؛ لأنهم كانوا سلطات حية أقامها المسيح، "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ." (متى ١٨: ١٨؛) "وَكَانُوا يُواظِبُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ، وَالشَّرِكَةِ، وَكَسْرِ الْخُبْزِ، وَالصَّلَوَاتِ. وَصَارَ خَوْفٌ فِي كُلِّ نَفْسٍ. وَكَانَتْ عَجَائِبُ وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُجْرَى عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ « (أعمال الرسل ٢: ٤٢). « مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ،)"الرسالة إلى أفسس ٢: ٢٠). ولكن عندما ماتوا، لم تعد هناك **سلطة رسولية حية ؛ لأن أولئك الذين كانوا شهود عيان للمسيح المقام هم وحدهم الذين يمكنهم الحصول على السلطة الرسولية** "مُنْذُ مَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ عَنَّا، يَصِيرُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ شَاهِدًا مَعَنَا بِقِيَامَتِهِ." **(أعمال الرسل ١: ٢٢) ؛ ولأن العهد الجديد هو السجل الوحيد الموحى به (المعصوم من الخطأ) لما علمه الرسل، فإنه يترتب على ذلك أنه منذ وفاة الرسل، فإن السلطة الرسولية الوحيدة التي لدينا هي السجل الموحى به لتعليمهم في العهد الجديد. أي أن كل التقليد الرسولي (التعليم) عن الإيمان والممارسة موجود في العهد الجديد.**

وهذا لا يعني بالضرورة أن كل ما علمه الرسل على الإطلاق موجود في العهد الجديد، كما أن كل ما قاله يسوع موجود هناك "وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هذَا الكتاب».

(يوحنا ٢٠: ٣٠) . "وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ، إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ»**(يوحنا ٢١: ٢٥). ما يعنيه ذلك هو أن كل التعليم الرسولي الذي اعتبره الله ضروريًا لإيمان الكنيسة وممارستها (أخلاقها) قد تم** حفظه فقد جاء «وَأَنَّكَ مُنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلًا، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَل صَالِحٍ." **(الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٣: ١٥-١٧). ومن المعقول أن نستنتج فقط حقيقة أن الرسل أشاروا أحيانًا إلى**

(1) See: Harnack, Adolf von, History of dogma. Publication date: 1961 Publisher New York: Dover Publications. Pp. 4: 312

«التقاليد» التي قدموها شفويًا باعتبارها موثوقة لا تقلل بأي حال من الأحوال من الحجة البروتستانتية. أولاً، ليس من الضروري الادعاء بأن هذه التعاليم الشفهية كانت موحى بها أو معصومة من الخطأ، بل فقط أنها كانت موثوقة. وقد طُلب من المؤمنين أن يحفظوها . « فَأَمْدَحُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ عَلَى أَنَّكُمْ تَذْكُرُونَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَتَحْفَظُونَ التَّعَالِيمَ كَمَا سَلَّمْتُهَا إِلَيْكُمْ « **(الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس٢: ١١) ، لكن تعاليم الرسل الشفهية لم تكن تسمى «موحى بها» أو «غير قابلة للكسر» أو ما يعادلها، إلا إذا تم تسجيلها ككتاب مقدس. لقد كان الرسل سلطات حية، ولكن ليس كل ما قالوا كان معصوماً من الخطأ. يفهم الكاثوليك الفرق بين الموثوق والمعصوم؛ لأنهم يقومون بنفس التمييز فيما يتعلق بالتصريحات غير المعصومة التي أدلى بها البابا والتصريحات المعصومة من الكاتدرا (من كرسي بطرس)، ومن خلال ماسبق يتضح لنا أهمية التعاليم.**

رفض البروتستانت للتقليد الكنسي:

في واقع الأمر، هناك العديد من الأسباب التي تجعل البروتستانت يرفضون ادعاء الروم الكاثوليك بأن هناك تقليدًا رسوليًا خارج الكتاب المقدس يتمتع بنفس القدر من الموثوقية والأصالة للكتاب المقدس. ولا يستطيع الباحث إخفاء التوافق التام بين الكنيستين الكاثوليكية ، والأرثوذكسية في رؤيتهما .

فمن المعروف أن التقاليد الشفهية غير موثوقة؛ حيث إنها تمثل المادة التي تصنع منها الأساطير والخرافات. ما هو مكتوب يتم الحفاظ عليه بسهولة أكبر في شكله الأصلي. وفي تصوري أن هناك عدة مزايا للنص المدوَّن حيث:

(١) يتمتع بالمتانة حيث يتم تقليل أخطاء الذاكرة أو الفساد العرضي، سواء كان متعمدًا أو غير مقصود.

(٢) يمكن نشره عالميًا من خلال الترجمة والاستنساخ.

(٣) يتميز بصفة الثبات والطهارة؛ (٤) تيُعطي نهائية ، ومعيارية لا تستطيع أشكال الاتصال الأخرى تحقيقها.

وعلى النقيض من ذلك، فإن ما لم يُدوَّن يتعرض للحذف والتحريف بسهولة أكبر. ونجد مثالاً على ذلك في العهد الجديد. كان هناك «تقليد رسولي» غير مكتوب (أي تقليد قادم من الرسل) مبني على سوء فهم لما قاله يسوع. لقد افترضوا خطأً أن يسوع أكد أن الرسول يوحنا لن يموت. ومع ذلك، فضح يوحنا هذا التقليد الكاذب في سجله المكتوب ذو السلطان ، "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أَشَاءُ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى أَجِيءَ، فَمَاذَا لَكَ؟ اتْبَعْنِي أَنْتَ!" (يوحنا ٢١: ٢٢-٢٣).

تخبرنا الفطرة السليمة والخبرة التاريخية أن الجيل الذي كان على قيد الحياة عندما نزل الوحي

المزعوم هو في وضع أفضل بكثير لمعرفة ما إذا كان الوحي صحيحًا من الأجيال اللاحقة، خاصة تلك التي جاءت بعد مئات السنين. فالعديد من التقاليد التي أعلنت أنها وحي إلهي من قبل السلطة التعليمية الكاثوليكية الرومانية قد تمت بعد قرون، بل آلاف السنين أو نحو ذلك، بعد أن زُعم أن الله قد أعطاها. وفي حالة بعض هذه الأمور، لا يوجد دليل قوي على أن هذا التقليد كان مؤمنًا به من قبل أي عدد كبير من المسيحيين الأرثوذكس حتى قرون بعد حدوثه، لكن أولئك الذين يعيشون في مثل هذا التاريخ المتأخر هم في وضع أدنى بكثير من معاصريهم من أمثال أولئك الذين كتبوا العهد الجديد، لمعرفة ما كان حقًا إعلانًا من الله.

المطلب الثاني : أنواع الشفاعة ، والفرق بينها في المفهوم الكنسي

وردت لفظة الشفاعة عدة مرات في العهدين القديم والجديد، وقسموها إلى نوعين:

أولاهما الشفاعة الكفّارية: وهي الشفاعة التي ترتبط بالفداء، أي أن السيد المسيح يشفع في مغفرة الخطايا باعتباره الكفارة التي نابَت عنا في دَفع ثمن الخطية. وهكذا يقف وسيطًا بين الله والناس. بل هو الوسيط الوحيد؛ أي أنه أعطى الآب حقه في العدل الإلهي، وأعطى الناس المغفرة، بأن مات عنهم، كفّارة عن خطاياهم؛ إذ ورد أنه «وسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فِدية لأجل الجميع» (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس٢:٥).

وفي حديث القديس يوحنا الرسول عند الخطأ نجده يصفه بالشفيع عند الآب، فيسوع المسيح البار- على حد زعمه - هو كفّارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضًا (رسالة يوحنا الأولى٢:١، ٢).

و الشفاعة الكفارية لم يختلف عليها أحدٌ من الطوائف المسيحية ، فهي شفاعة المسيح في الإنسان الخاطئ ؛ لأنه يحتاج إلى كفارة. [١]

ثانيهما الشفاعة التوسلية : لما كان الكتاب المقدس يدعو إلى أن يصلي الأحياء لبعض؛ إذ يقول: «صلوا بعضكم لأجل بعض» (رسالة يعقوب ١٦:٥)؛ لجأ المجيزون لشفاعة القديسين من باب القياس على الصلاة ، فالقديسون أنفسهم كانوا يطلبون صلوات الناس عنهم. فالقديس بولس يقول لأهل تسالونيكي: «صلوا لأجلنا» (الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي ٣:١).

(١) انظر: اللاهوت المقارن ، البابا شنوده الثالث ، الكلية الإكليريكية - القاهرة - الطبعة الخامسة - ١٩٩٦، ٦٨/١

ويستمر القياس الأرسطي ، فطالما يلجأ القديسون للعوام يطلبون منهم الصلاة ، فمن باب أولى أن يلجأ هؤلاء للقديسين للصلاة عنهم ، وطالما يطلبون من الأحياء ، فلا مانع من طلبها من الأموات الذين انتقلوا إلى الملكوت .

ولايختلف المسيحيون حول الشفاعة الكفاريَّة للمسيح ، وإنما حول الشفاعة التوسلية خاصةً شفاعة القديسين ، فقد تباينت مذاهب الطوائف المسيحية فيها بين مثبتٍ ، ونافٍ لها .

المبحث الثاني

موقف الطوائف المسيحية من شفاعة القديسين

المطلب الاول : المؤيدون لشفاعة القديسين ، وأدلتهم

بالنظر للمؤيدين ، نجد الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية تدعمان صلاة الشفاعة للقديسين؛ حيثُ تؤدي صلاة الشفاعة للقديسين - أيضًا - دورًا مهمًا في الكنائس الأرثوذكسية الشرقية ، كما يؤمن بعض الأنجلو كاثوليك بالشفاعة المقدسة. هذه الممارسة هي تطبيق للعقيدة الكاثوليكية لشركة القديسين، حيث الصلاة لمريم تُعد جزءاً أساسياً منها. وهذا مفهوم من الأساس ؛ لذلك كان الاعتقاد بأن الشهداء انتقلوا فورًا إلى حضرة الله، ويمكنهم الحصول على النعم والبركات للآخرين. تم استخلاص تعزيز آخر لنفس الفكرة من عبادة الملائكة، والتي على الرغم من أن أصلها كان قبل المسيحية، فقد اعتنقها المؤمنون في العصر شبه الرسولي بشدة، وفضلاً عن ذلك، فإن الشفاعة تُطلبُ أيضًا للأشخاص القديسين الذين لم يتم إعلان قداستهم بعد، ويتم تقديم الأدلة على المعجزات الناتجة عن هذه الصلاة بشكل شائع جدًا أثناء عملية التطويب والتقديس الرسمية.[١]

و في الوقت الذي تؤمن به الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بعقيدة انتقال مريم العذراء بالجسد التي صرَّح بها البابا بيوس الثاني ١٤ عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٥٠م ، وتُسمَّى هذه العقيدة عندهم: الحَبَل بلا دنس الخطية Immaculate Conception فقد غدت لديهم شريكة في الخلاص ،رغم قولها الصريح "تبتهج روحي بالله مخلِّصي» (إنجيل لوقا ١:٤٧)، بل غالت كنيسة روما في فضائل القديسين وأعمالهم الصالحة وعرض الفائض منها لحساب المؤمنين، فأضافوها إلى رصيد ذويهم المنتقلين أو رصيدهم عند انتقالهم، فيفيدون بإعفائهم من عقوبات المطهر ، حيثُ تعلم الكنيسة الكاثوليكية تبجيل السيدة العذراء والملائكة والقديسين كجزء من عقيدة شركة القديسين [٢] ، أما الكنيسة الأورثوذكسية فتؤمن بعقيدة انتقال مريم بالجسد بذنب الخطيئة الأصلية التي تحدث لكل المولودين.[٣]

---

(١) انظر: «الشفاعة (الوساطة)،» الموسوعة الكاثوليكية الجديدة،
http://www.newadvent.org/cathen/08070a.htm, accessed December 29,2022 .

(٢) انظر: كتاب : مريم أم الرب ورمز الكنيسة ، ماكس توريان ،ترجمة الأب خليل سليم ، دار المشرق - بيروت، ص ٢١١

(٣) انظر: المصدر السابق، ص ٢١١

تبرز الفكرة من خلال الاعتقاد بأنَّ القديسين يحكمون مع المسيح ؛ فيقدمون صلواتهم إلى الله من أجل البشر. ومن الجيد والمفيد أن نطلبهم، وأن يلجأ كل فرد مسيحي إلى صلواتهم ومساعدتهم ومعونتهم للحصول على فوائد من الله، من خلال ابنه يسوع المسيح الرب - على حسب إفكهم - ، الذي هو وحده الفادي والمخلص. وهنا يتم وصف الأشخاص الذين ينكرون ضرورة استدعاء القديسين الذين يتمتعون بالسعادة الأبدية في السماء، بأنهم غير تقاة ؛ أو الذين يزعمون أنهم لا يصلون من أجل الرجال، أو أن دعاءهم للصلاة من أجل كل واحد منا هو عبادة أوثان، أو أنه منافٍ لكلمة الله، ويتعارض مع كرامة وسيط الله الأوحد. والرجال يسوع المسيح .

ومن الجدير بالذكر أن نبين أنَّ شفاعة القديسين لم يتم إقرارها كتقليد كنسي رسمي إلا بعد انعقاد مجلس ترينت في (١٥٤٥م) ، الذي أُقرت فيه شفاعة القديسين، وفيه أكد على أن القديسين الذين يسودون **مع المسيح يقدمون صلواتهم للرب نيابة عن الناس، ومن مفيد استدعاؤهم، واللجوء إلى صلواتهم، ونيل شفاعتهم للحصول على منح من الرب، عن طريق ابنه يسوع المسيح الرب - حسب معتقدهم- (١)**

تُقدم الصلاة للإنسان بطريقتين: إحداهما كأنها تُمنح من نفسه، والثانية كأنها تنال به. في الطريقة الأولى تتم الصلاة إلى الله وحده؛لأن كل صلواتنا يجب أن تكون موجهة نحو الحصول على النعمة والمجد الذي يعطيه الله وحده، بحسب كلمات المزمور (٨٣: ١٢): «الرب يعطي نعمة ومجداً». ولكن بالطريقة الثانية، تتم الصلاة إلى الملائكة القديسين والبشر، لا لكي يتعلم الله طلبتنا من خلالهم، بل لكي تكون الصلوات فعالة بصلواتهم واستحقاقاتهم؛ لذلك قيل في سفر الرؤيا (٨: ٤): «وصعد دخان بخور صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله» .

وتنوعت أدلتهم بين المنطق ، والدليل الكتابي ، فمن أدلتهم المنطقية على إثبات الشفاعة التوسلية للقديسين : أنَّ طلب الصلاة ممن هم على قيد الحياة ،يحملُ معنى الشفاعة ، وهذا معناه أن يقوم البعيد عن الله بالذنوب بطلب الشفاعة ممن هو قريب من الله بالعبادة. أما طلب الصلاة ممن فارقوا الحياة ، فإن الإيمان الكنسي يربط ذلك بحسن مآلهم ، بل يصفهم بالشراكة مع المسيح ، فضلاً عن قياس الشفاعة على الصلاة(٢).

---

(١) انظر: See for more information : W. P. Bennett , A Short History of the Intercession of the Saints .Retrieved, December 30, 2021 from The Mystical Humanity of Christ : https://www.coraevans.com/blog/article/a-short-history-of-the-intercession-of-the-saints

(٢) **انظر: اللاهوت المقارن ، البابا شنوده الثالث ، الكلية الإكليريكية - القاهرة - الطبعة الخامسة - ١٩٩٦، ٦٨/١**

ومن أدلتهم الكتابية :

من العهد القديم :

أ) قصة إبراهيم وأبيمالك الملك ، حين قال له الرب : « فَالآنَ رُدَّ امْرَأَةَ الرَّجُلِ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَيُصَلِّيَ لأَجْلِكَ فَتَحْيَا. « **(سفر التكوين٢٠ :١-٧)**

ب) قصة أيوب الصديق ، وأصحابة الثلاثة (سفر أيوب ٤٢ : ٧ ، ٨) قال لهم الرب « وَعَبْدِي أَيُّوبُ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِكُمْ، لأَنِّي أَرْفَعُ وَجْهَهُ لِئَلاَّ أَصْنَعَ مَعَكُمْ حَسَبَ حَمَاقَتِكُمْ "

ج) شفاعة إبراهيم في سدوم (سفر التكوين ١٨ : ٢٦ - ٣٢) ، حين عرض الرب الأمر على إبراهيم وأدخله فيه ، وأعطاه فرصة للتشفع .

د) شفاعة موسي من أجل برص أخته فاستجاب الرب، وشفاها (سفر العدد :١٢) ومن العهد الجديد :

- **فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٨: ٤).**
- **فحدث أن أبا بوبليوس كان مضطجعًا معترى بحمى وسحج فدخل إليه بولس وصلى ووضع يديه عليه فشفاه (سفر أعمال الرسل ٢٨: ٨).**

وجهات النظر الأنجليكانية:

دافعت أول بنود الإيمان الأنجليكانية، وهي المقالات العشر (١٥٣٦م)، عن ممارسة الصلاة إلى القديسين، بينما خصص كتاب الملك، وهو البيان الرسمي للدين الصادر عام (١٥٤٣م) قسمًا كاملاً لأهمية السلام ماريا (Ave Maria). صلاة «السلام عليك يا مريم».

ومع ذلك، أدانت المقالات التسعة والثلاثون (١٥٦٣م) «استدعاء القديسين» باعتباره «أمرًا محرمًا، تم اختراعه عبثًا، ولا يرتكز على أي ضمان من الكتاب المقدس، ولكنه بالأحرى بغيض لكلمة الله» (المادة الثانية والعشرون). ومع ذلك، فإن البعض داخل الطائفة الأنجليكانية يميز بشكل واضح بين المذهب «الروميش» و«الآباء» فيما يتعلق باستدعاء القديسين، مما يسمح بالأخيرة، ولكن يمنع الأول. وقد شهدت حركة أكسفورد إحياء الممارسة الآبائية، والتي توجد الآن بين الأنجليكانيين في الكنيسة العليا وخاصة الأنجلو كاثوليك.

المطلب الثاني : الرافضون لشفاعة القديسين ، وأدلتهم

يُعد القديسون هم نقطة الخلاف الرئيسة بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والطائفة البروتستانتية. وبالعودة إلى الإصلاح البروتستانتي في أوائل القرن السادس عشر، تم رفض العقيدة الكاثوليكية حول

قوة شفاعة القديسين لاهوتيًا من قبل مارتن لوثر وجون كالفين على أساس التبرير بالإيمان وحده بيسوع المسيح. ومن ثمَّ قام فيليب ميلانشتون- وهو صديق مقرب لمارتن لوثر، وأستاذ العهد الجديد في جامعة فيتنبرج- بصياغة اعتراف مشترك للوردات اللوثريين والأقاليم الحرة. وبالفعل تم تقديم الوثيقة - المعروفة باسم اعتراف أوغسبورغ- إلى الإمبراطور شارل الخامس في(٢٥ يونيو ١٥٣٠م). وتنص المادة ٢١ من اعتراف أوغسبورغ على ما يلي: «لا يعلمنا الكتاب المقدس أن نستدعي القديسين، أو أن نطلب المساعدة من القديسين؛ لأنه يضع أمامنا المسيح كالوسيط الوحيد والكفار ورئيس الكهنة والشفيع».

موقف الكنيسة الكاثوليكية من القديسين، وخاصة كوكلاء لـلأرواح في المطهر، خلق «صناعة صلاة الـروح»[1]، حيث مولت صكوك الغفران مجموعة متنوعة من الأنشطة والمؤسسات الدينية. ومن الجدير بالذكر هنا مؤسسات الترانيم، التي قدمت وقفًا لغرض توظيف الكهنة لترنيم القداديس لصالح أرواح الأشخاص المتوفين. وعلى النقيض من ذلك، رفضت البروتستانتية الإيمان بالمطهر وقوة القديسين الوسيطة.

موقف اللوثرية

تقول المعتقدات اللوثرية التقليدية أن القديسين يصلون من أجل الكنيسة بشكل عام، لكنهم ليسوا وسطاء للفداء. وافق مارتن لوثر- مؤسس اللوثرية - على تكريم القديسين بقوله إنهم يتم تكريمهم بثلاث طرق: أولاً بشكر الله على أمثلة عنهم. رحمته؛ ثانيًا، أن نأخذ القديسين قدوة لتقوية إيماننا، وثالثًا أن نقتدي بإيمانهم وفضائلهم الأخرى.

موقف البروتستانت:

ترفض العديد من الكنائس البروتستانتية بشدة كل الشفاعات المقدسة، وفقًا لما ورد بالرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢: ١-٥ ، التي تقرر أن يسوع هو الوسيط الوحيد بين الله والإنسان، وكذلك ماورد بسفر التثنية ١٨: ١٠-١١، والتي تبدو وكأنها لمنع استدعاء الأرواح التي ماتت، ويذهبون - أيضًا -إلى أنه لا توجد أي أمثلة في الكتاب المقدس لأي شخص يطلب شفاعة الأموات، ويسوع المسيح هو الاستثناء الوحيد؛لأنه يعتقد أنه حي وقام؛ ولأنه يعتقد أنه إنسان وإنسان. إلهي. تمت مهاجمة هذه الممارسة من قبل الولدانيين

(1) See for more information: Diarmaid MacCulloch, The Reformation: A History (New York, Viking Press, 2003) p. 557.

في القرن الثاني عشر، ومختلف مجموعات البوجوميل الغنوصية - بما في ذلك الألبيجينسيين- كان الكالفينيون والزوينجليون - فِرق من البروتستانت - متحمسين بشكل خاص في رفضهم للشفاعة المقدسة.[1]

(١) فقد انتشر في أرمينيا منذ وقت مبكر من العصر المسيحي شكل من المسيحية غير المعهودة ، على يد مبشر قدم من أورشليم يدعى عاديا. وقد بشر عاديا بعقيدة تقول إن المسيح ليس ابن الله، بل هو كائن بشري تبناه الله وجعل منه ابنًا له، ثم تطور ضمن هذه العقيدة تنويع آخر، يقول بوجود إلهين أعليين لا إله واحد، الأول هو الأب السماوي الأعلى والثاني هو الديميرج خالق هذا العالم، وعندما صارت المسيحية القويمة دينًا رسميًّا للإمبراطورية الرومانية، تم تصنيف هذه المسيحية الأرمينية في زمرة الهرطقات الكبرى، ولكنها بقيت في منأى عن بطش السلطات الكهنوتية في روما، وأخذت تجتذب إليها جماعات غنوصية تم تهجيرها من مواطنها الأصلية، فأقامت في أرمينيا وشكلت مع أتباع عقيدة التبني مذهبًا غنوصيًّا عُرف بالمذهب البوليسي- نسبة إلى بولس الرسول- وقد عُرف هؤلاء البولسيون بنزعتهم الحربية وميلهم المستميت إلى الدفاع عن عقيدتهم الدينية، وعندمانجحت السلطات البيزنطية أخيرًا في الضغط على البولسيين وتهجيرهم، توجهت جماعات منهم غربًا واستقرت في مكدونيا وبلغاريا والبلقان، وهناك تلاقحت أفكارهم مع أفكار جماعات محلية غير أرثوذكسية، ونجم عن ذلك مذهب قوي آخر في سياق القرن العاشر الميلادي، عُرف بمذهب البوجوميل نسبة إلى كاهن مسيحي اسمه بوجوميلوس، وقد قام البوجوميل بهجوم معاكس سياسي وعقائدي على= بيزنطة، وتمتعوا بشعبية واسعة بين الناس ؛ بسبب نقدهم الشديد لتصرفات الأباطرة البيزنطيين، ولفساد الكنيسة البيزنطية، فكان لهم جماعات سرية ،وعلنية في بلاد متعددة من الإمبراطورية البيزنطية، ولكن الاضطهادات الدموية التي تعرضوا لها من قبل الكنيسة الرسمية والسلطات البيزنطية، قد أدت إلى تشتيتهم تدريجيًّا خلال القرن الثاني عشر، ومع ذلك فإن الكنيسة الغنوصية قد ظلت قائمة في البوسنة حتى القرن الخامس عشر، وتحول من بقي من أتباعها بعد ذلك إلى الإسلام، وعلى الرغم من ذلك فقد تمتعت الكتابات البوجوميلية التي دوِّنت باللغة السلافية القديمة بانتشار واسع، وأثرت في الأدب الشعبي السلافي، وحتى وقت متقدم من العصور الحديثة كان الشحاذون على أبواب الكنائس في روسيا ينشدون أغاني احتفظت بطابعها البوجوميلي القديم ، فقد اعتبر البوجوميل كتاب العهد القديم من صنع الشيطان، ولم يتبنوا من أناجيل العهد الجديد سوى إنجيل يوحنا الذي رأوا فيه إبانة عن الله الحق، وهم يقولون بثنوية معتدلة لا تجعل من الشيطان إلهًا مستقلًّا، بل تجعله ابنًا لله خرج عن طاعته وعصاه، فهم يؤمنون بإله واحد أعلى هو الإله المسيحي الطيب صانع كل ما هو خيِّر وحسن، ويعتقدون بأن الإله الطيب قد أنجب ابنه البكر لوسيفر، الذي يعني اسمه حامل الضياء؛ نظرًا لشدة بريقه ولمعانه، إلا أن لوسيفر هذا عصا أباه، وسقط من المستوى الروحاني الأعلى بمحض إرادته، وصار اسمه ساتانا-إيل، أي الشيطان، وهم في تبنيهم لقصة التكوين التوراتية،نجدهم يعزونها إلى الشيطان لا إلى الله، فقد خلق الشيطان (إله العهد القديم) السموات والأرض، انطلاقًا من المادة القديمة المتمثلة بالمياه الأولى، كما خلق الإنسان، ولكن روح الإنسان، كما هو الحال في بقية النظم الغنوصية، قد استُمدت من روح الله؛ ولذلك فقد عمل الله على إنقاذ أرواح البشر عن طريق «الكلمة»، التي تجسدت في الشكل الشبحي ليسوع المسيح على الأرض، ومن الناحية التنظيمية، انقسم البوجوميل إلى ثلاثة أقسام، على الطريقة المانوية، قسم الكاملين المهيئين للانعتاق من دورة تناسخ الأرواح في هذا العالم، يليه قسم السمَّاعين المؤهلة للتحول إلى شريحة الكاملين في التناسخ المقبل، فقسم عامة المؤمنين، وكان الالتزام بالأخلاقيات والسلوكيات البوجوميلية يختلف من قسم لآخر، فكان الكاملين بمثابة النموذج الأعلى في الالتزام، فلم يكن أفرادها يتناولون الخمر أو اللحم، وعاشوا حياة زهد وتنسك تحكمها قواعد أخلاقية وسلوكية صارمة ،حتى وصف أحد آباء الكنيسة في القرن الثاني الميلادي الغنوصية بأنها مثل التنين الذي إذا قطعت له رأسًا نبت له رأس آخر محله، وها هو تاريخ الغنوصية يثبت صحة ذلك الوصف، فبعد القضاء على البوجوميل في البلقان وأوروبا الوسطى، انتشرت أفكارهم إلى فرنسا عن طريق مناطق إشمال إيطاليا . انظر :

يعلم الكاثوليك الأرثوذكس جيداً، فإن مصيبة الليبرالية كبيرة داخل الكنيسة الكاثوليكية كما هي خارجها. عندما يدعي المدافعون الكاثوليك أن هناك اتفاقًا عقائديًا بين الكاثوليك أكثر بكثير من البروتستانت، فلا بد أنهم يقصدون بين الكاثوليك الأرثوذكس وجميع البروتستانت (الأرثوذكس وغير الأرثوذكس) - أي، من وبطبيعة الحال، ليست مقارنة عادلة.

فقط عندما يختار المرء مقارنة أشياء مثل طريقة المعمودية والمرشح لها، وحكومة الكنيسة، ووجهات النظر حول القربان المقدس، وغيرها من المذاهب الأقل أهمية، تكون هناك اختلافات أكبر بين البروتستانت الأرثوذكس. ومع ذلك، عندما نقارن الاختلافات مع الكاثوليك الأرثوذكس والبروتستانت الأرثوذكس أو مع جميع الكاثوليك وجميع البروتستانت حول المذاهب الأكثر أهمية، لا توجد ميزة كبيرة للكاثوليكية. هذه الحقيقة تلغي قيمة التعليم المزعوم المعصوم من الخطأ في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. ففي واقع الأمر، يبدو أن البروتستانت يفعلون نفس ما يفعله الكاثوليك فيما يتعلق بإجماع المذاهب الأساسية مع وجود كتاب مقدس معصوم فقط ،ولا يوجد مفسرون معصومون له!

وبالنظر إلى «الطوائف» البروتستانتية الأرثوذكسية، فعلى الرغم من وجود الكثير منها،إلا أنها لم تختلف تاريخيًا بشكل أكبر بكثير من اختلاف «الطوائف» المختلفة للكنيسة الرومانية الكاثوليكية. إن الخلافات بين البروتستانت الأرثوذكس تدور إلى حد كبير حول قضايا ثانوية، وليس حول المذاهب الأولية (الأساسية)؛ لذا فإن هذه الحجة الكاثوليكية ضد البروتستانتية هي إدانة ذاتية.

المطلب الثالث : جدلية العمل الإيمان ، وعلاقتها بشفاعة القديسين

إن هناك العديد من المعتقدات الأساسية التي تحدد المسيحية، وتميزها عن غيرها من الأديان، تتمحور حول شخص يسوع الناصري؛ إذ نجد بالكتاب المقدس أن البشرية في الحالة الساقطة الخاطئة، وأنها انفصلت عن الشركة مع كمال الخالق الموجود إلى الأبد، إله ثالوثي. هذا الإله يحب خليقته. يرى المسيحيون أن يسوع هو ابن الله المتجسد، رغم ذلك لا يزال الله، ولد في العالم كمخلص بشري لإجراء خدمة تعليمية ، و يموت في نهاية المطاف من أجل خطايا البشرية. فلقد عاش حياة كاملة بلا خطية ، وذهب إلى صليبه بإرادته الحرة ودفع دين الخطيئة الذي لا تستطيع البشرية أن تدفعه بمفردها. المسيحيون - أيضا -يؤمنون أنه بعد ما مات على الصليب قام بالجسد من بين الأموات وظهر لكثيرين من أتباعه من تلاميذه قبل صعوده إلى

الوجه الآخر للمسيح : موقف يسوع من اليهودية - مقدمة في الغنوصية ، فراس السواح ، مؤسسة هنداوي - مصر ، طبعة ٢٠٢٢م ، ص١٦٥-١٦٩

السماء. وبعد صعوده، يعتقد المسيحيون أنه مقدس روح الله، الأقنوم الثالث في الثالوث، جاء ؛ ليسكن في داخل كل مؤمن يقود ،ويرشد كل شخص ؛ ليصبح مثل يسوع أكثر طوال حياته، مما يسمح للجميع وصول المؤمن إلى السلطة ؛ ليعيش حياة متغيرة. أما بالنسبة لاستمرار الحياةالمسيحية،قال يسوع "مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ» **(إنجيل يوحنا ٧: ٣٨).**

من هنا نستطيع أن نعرّج إلى مفهوم الإيمان الكنسي الذي يربط بين العقيدة ، وتعاليم الروح، فهو لديهم التصديق بوجود الله، ومحبته ، وقبوله في القلب [١]. أما الأعمال الصالحة فهي الأعمال النابعة من ممارسة الفضائل ، وهي كثيرة جدا ، ويخرُجُ منها الإيمان . [٢]

البروتستانت ، ورفض اعتبار العمل جزءاً من الإيمان:

وجه البروتستانت مجموعة من الانتقادات للكنيستين الأرثوذكسية ، والكاثوليكية ؛ لإدخالهما شفاعة القديسين في مفهوم الإيمان الكنسي ؛ لأن كلا من الكنيستين يُدخل العمل في الإيمان،ومن ثـمَّ حدث التناقض ؛ حيث رأوا أنها تناقضت مع أصل الإيمان المسيحي[٣] **؛إذ يعتقد البروتستانت أن المسيحي ينجو ويخلص من خلال الإيمان القلبي الذي هو تصديق الكتاب المقدس ، ولا يُقيمون وزناً للعمل ، يتمتع الكتاب المقدس بالوضوح بغض النظر عن أي تقاليد لمساعدتنا على فهمه. كما هو مذكور أعلاه، وعلى عكس سوء الفهم الواسع النطاق لدى الكاثوليك، فإن الوضوح لا يعني أن كل شيء في الكتاب المقدس واضح تمامًا ،ولكن الرسالة الرئيسة واضحة. أي أن كل العقائد الأساسية للخلاص والحياة بحسب مشيئة الله واضحة بما فيه الكفاية.**

وفي الواقع، إن الافتراض بأن التقاليد الشفهية للرسل، غير المكتوبة في الكتاب المقدس، ضرورية لتفسير ما هو مكتوب في الكتاب المقدس بالوحي، هو بمثابة القول بأن غير الملهم أكثر وضوحًا من الملهم. لكن من الوقاحة تمامًا التأكيد على أن ما يقوله البشر غير المعصومين هو أوضح مما تعلنه كلمة الله المعصومة من الخطأ. علاوة على ذلك، فمن غير المعقول الإصرار على أن كلمات الرسل التي لم تُكتب هي أوضح من تلك التي كتبها. ونحن نعلم جميعا من التجربة أن الأمر ليس كذلك.

---

(١) **انظر : مجموعة الشرع الكنسي(قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة) ، الأرشمندريت حنانيا إلياس كساب ، منشورات النور - بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٨،ص٤٤**

(٢) **انظر : الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة،قولرس بهنام ،دير الآباء الدومنيكان ، طبعة الموصل ،١٨٦٧، ص ١٣٨**

(٣) انظر : دليل إلى قراة تاريخ الكنيسة، جان كمبي، بيروت: القاهرة: دار المشرق، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ ، ص ٢٣٤

وعلى هذا الحال ، هاجم لوثر معتقد الكنيسة الكاثوليكية التي ترى أن خلاص المرء قائم على أساس أي شيء يفعله هو، أو أي شيء تهبه له الكنيسة . وكذلك معارضتها لمبادئ الفردانية البروتستانية؛ حيث كان مبدأ أساسي في حركة الإصلاح المسيحية ، والتي بموجبها يتحتم رد ، وطرح أي نظام أو طبقة خاصة من الناس يشفعون ويتوسطون في العبادة بين الرب والناس، فيستطيع المرء في اي مكان وفي أي وقت مناجاة الرب دون وسيط.[١]

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ؛ إذ رأت أن استغلال شفاعة القديسين يُعد نوعا من التحايل على الناس [٢]**؛ من أجل الحصول على موارد اقتصادية مقابل صكوك الغفران ، بل وصل الأمر بهم إلى الاعتقاد بأن الذي يموت على إيمان الكنيسة سيخْلُص من العقوبة، وكان الطريق إلى ذلك الاعتقاد شفاعة القديسين الذين تطهروا في حياتهم ؛ لينعموا ا بعد مماتهم في الملكوت؛ حيث أنهم قاموا بالكثير من الأعمال الصالحة التي يمكن نقلها إلى أولئك الخاطئين الذين ساروا في فلك شهواتهم ، فيأتي صك الغفران ؛ ليُضيف العمل الصالح للإيمان ؛ ليكتمل الإيمان .**

وعلى الناحية الأخرى التي تحاول الجمع والتوفيق بين النصوص ، يذهب الإنجيليون المشيخيون إلى أن الأصل هو الإيمان ، وأنَّ العمل تابعٌ له، فالخلاص لايتم إلا بالإيمان وحده ، ويستدلون على مذهبهم بدحض التضاد الواقع بين ما جاء في رسالة يعقوب حين تساءل عن قيمة المنفعةإِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَاناً وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ؟ هَلْ يَقْدِرُ الإِيمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟ (يعقوب٢: ١٤)، وبين ما جاء فى (رومية٣: ٢٨) من أنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ ؛ لذا ذهبوا للتوفيق بين النصين بادِّعاء أن الإنسان مُبرِّرُهُ أمام الله هو الإيمان وحده ،وأنَّ العمل الصالح مُبَرِّر الإنسان أمام ضميره ، وأمام الناس .

مما سبق يتضح لنا أنَّ التقليد الرسولي غامض، وكما أشير في كثير من الأحيان من أنَّ الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لم تقدم أبدًا قائمة كاملة وشاملة لمحتويات التقليد الرسولي خارج الكتاب المقدس. ولم تجرؤ على القيام بذلك لأن هذا التقليد الشفهي هو كيان غامض.[٣]، وهذا يعني أنه حتى لو كان كل الوحي خارج الكتاب المقدس موجود بالتأكيد في مكان ما في بعض التقاليد (كما يدعي الكاثوليك)، فإنه لم يتم الإعلان عن أي منها في أي مكان.

---

(١) انظر: أضواء على الإصلاح الإنجيلي، القس فايز فارس، القاهرة: مطبعة القاهرة الحديثة، الطبعة الأولى ١٩٨٤ ، ص ٥٤- ٥٦

(٢) انظر: تاريخ الفكر المسيحي، جوناثان هيل، ترجمة: سليم إسكندر ومايكل رأفت ، الطبعة الأولى، ٢٠١١ القاهرة - مكتبة دار الكلمة.ص ٢١٨ - ٢١٠.

(3) Bernard Ramm, The Pattern of Authority (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1959)p,68.

وأخيرًا، إذا تم اتباع الطريقة التي يختارون بها التقاليد التي سيتم تقديسها في ممارسة النقد النصي للكتاب المقدس، فلن يتمكن المرء أبدًا من التوصل إلى إعادة بناء سليمة للمخطوطات الأصلية. لأن النقد النصي يتضمن تقييم الأدلة فيما يتعلق بما قاله النص الأصلي بالفعل، وليس إعادة قراءة ما تود الأجيال اللاحقة أن يقوله. في الواقع، حتى معظم علماء الكتاب المقدس الكاثوليك المعاصرين لا يتبعون مثل هذا الإجراء التعسفي عند تحديد ترجمة النص الأصلي للكتاب المقدس -كما هو الحال في الكتاب المقدس الأمريكي الجديد- .

وفي الختام، فإن مسألة السلطة أمر بالغ الأهمية للاختلافات بين الكاثوليك والبروتستانت. أحد هذه الأسئلة هو ما إذا كان الكتاب المقدس وحده يتمتع بسلطة معصومة من الخطأ. لقد فحصنا بعناية أفضل الحجج الكاثوليكية لصالح سلطة إضافية للكتاب المقدس، والتقليد المعصوم، ووجدنا أنها كلها ناقصة. علاوة على ذلك، فقد قدمنا وجهات النظر المختلفة إزاء هذه المعتقدات التي أثرت في علاقة الإيمان بالعمل بين مختلف الطوائف المسيحية .

الخاتمة

من خلال هذا البحث نصل إلى النتائج التالية :

- مثَّلَ الكتاب المقدس الركن الركين لدى المسيحيين البروتستانت نحو بناء إيمان مسيحي يتأصل بالذات الإنسانية .

- اختلفت الطوائف المسيحية حول الاعتقاد بشفاعة القديسين بين مؤيد بشدة - كالأرثوذكس ، والكاثوليك - ورافض بشدة كالبروتستانت، وأتباع مارتن لوثر .

- ارتبطت القناعات الإيمانية للاعتقاد بشفاعة القديسين بقضية العلاقة بين الإيمان والعمل ؛ إذ رفض البروتستانت ، وأتباع مارتن لوثر إقحام العمل بالإيمان؛ لأنه لديهم تصديق الكتاب المقدس فقط خلافا للطوائف الأخرى .

- تم استغلال شفاعة القديسين ؛ لتحقيق غرض سياسي تنافسي ، وهو محاولة إقصاء البروتستانت والعلمانيين من قبل الكنيسة الكاثوليكية .

- رأى مارتن لوثر ضرورة زوال الواسطة بين الفرد والرب من خلال إزاحة الإيمان الكنسي ؛ ليحل محله الإيمان المسيحي القائم على تصديق الكتاب المقدس لا الأعمال الصالحة التي تأتي من شفاعة القديسين. .

توصية :

أوصي بدراسة العلاقة بين الإيمان والعمل في مختلف الطوائف الدينية ؛ إذ برأيي أنها تعد سبباً جوهرياً للتواصل معهم ؛ لأن لها متعلقات وبواعث اقتصادية ، وسياسية ، واجتماعية نستطيع من خلالها أن نتجنب الطرق الزائفة للدعوى إلى الشرع الحنيف ، وتوصيل رسالة الإسلام هذا ، والحمد لله ، وصلاةً وسلاماً على رسول الله.

المصادر والمراجع العربية

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس.
- أضواء على الإصلاح الإنجيلي، القس فايز فارس، القاهرة: مطبعة القاهرة الحديثة، الطبعة الأولى ١٩٨٤.
- تاريخ الفكر المسيحي، جوناثان هيل، ترجمة: سليم إسكندر ومايكل رأفت ، الطبعة الأولى، ٢٠١١ القاهرة - مكتبة دار الكلمة.
- الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة، قولرس بهنام ، دير الآباء الدومنيكان ، طبعة الموصل ، ١٨٦٧.
- دليل إلى قراة تاريخ الكنيسة، جان كمبي، بيروت: القاهرة: دار المشرق، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤.
- الشفاعة استحقاق لنا في المسيح يسوع ، القس يوساب هاني ، مراجعة وتقديم : القمص موسى رفائيل، الناشر : كنيسة القديس الشهيد موريس والكارزة فيرينا ، الطبعة الأولى ٢٠١٦.
- اللاهوت المقارن ، البابا شنوده الثالث ، الكلية الإكليريكية - القاهرة - الطبعة الخامسة - ١٩٩٦.
- لسان العرب، ابن منظور ، دار صادر بيروت (د.ت).
- مجموعة الشرع الكنسي (قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة) ، الأرشمندريت حنانيا إلياس كساب ، منشورات النور - بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٨.
- مريم أم الرب ورمز الكنيسة ، ماكس توريان ،ترجمة الأب خليل سليم ، دار المشرق - بيروت.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،الطبعة الثانية ١٩٧٢.
- الوجه الآخر للمسيح : موقف يسوع من اليهودية - مقدمة في الغنوصية ، فراس السواح ، مؤسسة هنداوي - مصر ، طبعة ٢٠٢٢م.

المصادر والمراجع الأجنبية

Bernard Ramm, The Pattern of Authority (Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1959.

- Diarmaid MacCulloch, The Reformation: A History (New York, Viking Press, 2003)

- Harnack, Adolf von, History of dogma. Publication date: 1961 Publisher New York: Dover Publications. Pp.

- W. P. Bennett , A Short History of the Intercession of the Saints .Retrieved, December 30, 2022 from The Mystical Humanity of Christ : https://www.coraevans.com/blog/article/a-short-history-of-the-intercession-of-the-saints

, New Advent Catholic Encyclopedia, "Intercession (Mediation)-

http://www.newadvent.org/cathen/08070a.htm, accessed December 29,2022 .

Bibliography:

- The H- ly Quran

- The Bible

- Lights - n the Evangelical Ref- rmati- n, Past- r Fayez Fares, Cair- : M- dern Cair- Press, first editi- n 1984.

- The Hist- ry - f Christian Th- ught, J- nathan Hale, translated by: Salim Iskandar and Mi-chael Raafat, first editi- n, 2011 Cair- - Dar Al-Kalima Library.

- The Preci- us Jewel in Explaining the Truth - f the Church, by Gulers Behnam, M- nastery - f the D- minican Fathers, M- sul Editi- n, 1867

- A Guide t- Reading Church Hist- ry, Jean Kempe, Beirut: Cair- : Dar Al-Mashreq, first editi- n, 1994.

- Intercessi- n is w- rthy - f us in Christ Jesus, Past- r Y- ussab Hani, reviewed and presented by: Father M- ses Raphael, publisher: Church - f Saint Martyr Maurice and Preacher Verena, first editi- n 2016

- C- mparative The- l- gy, P- pe Shen- uda III, Clerical C- llege - Cair- - Fifth Editi- n - 1996.

- Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Dar Sader, Beirut (ed.).

- C- llecti- n - f Can- n Law (Laws - f the Universal Christian Church), Archimandrite Ananias Elias Kassab, Al-N- ur Publicati- ns - Beirut, sec- nd editi- n 1998

- Mary, M- ther - f G- d and Symb- l - f the Church, Max T- urian, translated by Father Khalil Salim, Dar Al-Mashreq - Beirut

- Intermediate Dicti- nary, Cair- Arabic Language Academy, sec- nd editi- n 1972.

- The - ther Side - f Christ: Jesus' P- siti- n - n Judaism - Intr- ducti- n t- Gn- sticism, Firas Al-Sawah, Hindawi F- undati- n - Egypt, 2022 editi- n